بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الرسالة الخطابية فى جواب بعض العارفين

من مصنفات الشيخ الاجل الاوحد المرحوم

الشيخ احمد بن زين الدين الاحسائى اعلى الله مقامه

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين و صلى الله على محمد و آله الطاهرين.

اما بعد فيقول العبد المسكين احمد بن زين الدين انه قد ارسل الىّ بعضُ الاخوان المخلصين من العلمآء العارفين الطالبين للحق و اليقين بمسئلتين يطلب جوابهما على سبيل الاستعجال مع كلال البال و تغيّر الاحوال فكتبتُ ما خطر من الجواب لذلك السؤال اذ لايسقط الميسور بالمعسور و الى الله ترجع الامور.

قال سلمه الله تعالى : ان المصلّى حين يقول اياك نعبد و اياك نستعين كيف يقصد المخاطِب بخطابه و اى معنى يعقد قلبه عليه هل يقصد الذات الغير المدركة بصفةٍ من صفاته الجمالية و لا الجلالية ام يقصد شيئاً آخر و على التقديرين ربّما يصلى الرجل و حين التكلم بتلك الكلمتين لايقصد شيئا و هو غافل ذاهل غير شاعر بقصد شىء فهل تصح صلاته ام لا.

اقول اعلم ان الله سبحانه لايُدرَك من نحو ذاته بكلّ اعتبار و انما يدرك بما تعرّف به لعبده فكلّ شىء يعرفه بما تعرّف به له فتشير العبارات اليه بما

اوجدها عليه و تشير القلوب اليه بما ظهر لها به و لا سبيل اليه الّا بما جعل من السبيل اليه و هو جل شانه يظهر لكل شيءٍ بنفس ذلك الشيء كما انّه يحتجب عنه به و الى ذلك الاشارة بقول على (ع) لاتحيط به الاوهام بل تجلّى لها بها و بها امتنع منها و اليها حاكمها ، و كل مظهرٍ لك به فهو مقام من مقامات ذاته فيك و حرف من حروف ذاتك به فمن وصل الى رتبةٍ قد ظهر سبحانه له فيها تبين له انّ المطلوب ورآء ذلك و انّ هذا الذى حسبه ايّاه لم يجده شيئا و وجد الله عنده فوفّاه حسابه و الله سريع الحساب و هكذا و اليه الاشارة بقول الحجة (ع) فى دعاء رجب و مقاماتك التى لا تعطيل لها فى كل مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك و بينها الّا انّهم عبادك و خلقُك ، فهذه المقامات هى التى دعاك اليها فيتوجّه اليها قلبك فيجده عندها كما يتوجّه وجه جسدك الى بيته الكعبة فيجده عندها و تعبَّدَك بأَنْ تدعُوَهُ بها و تعبُده فيها بلا كيفٍ و لا وجدان الّا لما اوجدك من ظهوره لك و انّه فى كل مقامٍ اقرب اليك من نفسك و ليس ما وجدته ذاتاً بحتاً و لو كان ذاتاً بحْتاً لجاز ان تدرك الذات البحْت و الذات البحت فى الازل و انت فى الامكان فيكون ما فى الامكان بادراكِ الازل فى الازل او ما فى الازل بكونه مدركاً للممكن فى الامكان تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً و الى ذلك اشار اميرالمؤمنين (ع) انّما تحد الادوات انفُسَها و تشير الالات الى نظآئرها و قول الرضا (ع) و اسمآؤه تعبير و صفاته تفهيم و قول الصّادق (ع) كلّما ميّزتموهُ باوهامكم فى ادقّ معانيه فهو مثلكم مخلوق مردود

عليكم ، و ذلك لانه سبحانه هو المجهول المطلق و المعبود الحق فاذا قلت ايّاك نعبد كنتَ قد قصدتَ شيئاً مخاطَباً و قيدُ الخطاب دَلّك على مخاطبٍ و المخاطَبُ لايُدْرَك منه الّا جهة الخطاب كقولك يا قاعد لاتدرك من ذلك المدعو الّا جهة القعود و ان كنت تعنى الموصوف بالقعود لانّ الموصوف غيّبَ الصفةَ عند الواصف حتّى انّه عنده اقرب اليه من الصفةِ و اظهر منها له لكن الواصف لايُدْرِك الّا جهة الصفة من الموصوف كما قال الرضا (ع) و اسمآؤهُ تعبير و صفاته تفهيم و بالجملة كلّ شيء لايُدْرِكُ اعلى مِنْ مَبْدئِه و انتَ خلِقْتَ بعدَ اشيآءَ كثيرةٍ فلاتدرك ما ورآءَ مَبْدئِكَ و مَع هذا تُدْرِك انّكَ مخلوق و تدرِكُ انّ للمخلوق خالقاً و تُدْرِك ان الخالق اوجدَكَ بفعله الّذى وصفتَهُ به و قلتَ خالق و تُدرِك انّ الخلقَ ايجاد و حركة و تُدرِك انّها حدثَتْ من الفاعل و تُدرِكُ ان الفاعل هو المحدِثُ للفعل و تدرك ان تلك الحركة الايجاديّة لم‌تكن قديمة و لم‌تنفصل من الذاتِ بل انّما أُحْدِثَتْ بنفسِها فتكون جهةُ الصفةِ صفةَ الجهة و لا شيء مما ذكر قديم فلاتُدْرِكُ الّا نظآئرَك فى المخلوقيّة و هى الآثار و مع هذا فهى لا شَيْءَ الّا به فهو اظهرُ منها ايكون لغيرِكَ من الظهور ما ليس لكَ حتّى يكون هو المظهِرَ لكَ فهو اقرب اليكَ من نفسِكَ فاذا قلتَ يا زيدُ كنتَ قد خاطبت شخصاً وَ دعوته باسمه و هو غيره و اشرتَ اليه و الاشارة و جهتها غير ذاته لان ذاته ليست حيواناً نَاطقاً و اشارة و اسماً و دعآء بل هذه غيرهُ و هو غيرها مع انّك تخاطبُه و الخطاب و جهته غيره فافهم ما كرّرتُ و ردَّدْتُ قال الرضا (ع)

كنهه تفريقٌ بينه و بين خلقه و غيره تحديد لما سوَاهُ ، فانظر فى زيد فانه حيوان ناطقٌ لا غير ذلك و لاتدركه بنفس الحيوانية و نفس النطق و انّما تدركه بمظاهره من الخطاب و الندآء و الاشارة و غير ذلك و كلها غيره و مع هذا فلاتلتفت الى شيءٍ منها و انّما يتعلّق قلبُكَ بذات زيدٍ و لكن تلك الاشياء التى قلنا انّها غيره هى جهة تعلّق قلبِك به و جهة ظهوره لكَ فاذا عرفتَ هذا عرفتَ مطلوبَك من عرف نفسه فقد عرفَ ربّه سنريهم آياتنا فى الآفاق و فى انفسهم حتى يتبيّن لهم انّه الحقّ فاذا قلتَ ايّاكَ نعبد فانت تعبد اللهَ و تقصده بعبادتك لا غير على نحو ما قلنا لَكَ و هو قوله تعالى و لله الاسمآء الحسنى فادعوه بها ، هذا اذا توجهتَ و امّا اذا غفلتَ و ذهلتَ فانه سبحانه لم‌يغفل و لم‌يذهل قال تعالى و ماكنا عن الخلق غافلين و ذلك اذا غفلت و ذهلْتَ فانّك حينئذٍ قد توجهتَ الى شيء من احوال الدنيا او الآخرة و هى كلها بالحقيقة ليسَتْ شيئا الّا بظهوره فيها فاذا غفلتَ عنه لم‌تغب عنه و لم‌يغب عنك قال الصادق (ع) فى قوله تعالى اولم‌يَكفِ برَبّك انه على كل شيء شهيد قال (ع) يعنى موجود فى غيبتك و فى حضرتِكَ ، فصلاتُك صحيحة بمعنى انّها مجزيَةٌ و قد تكون غير مقبولةٍ بمعنى انّها غير موجبَةٍ للجنّة وحدها بدون غيرها من الاعمال و وجه صحتها و اجزآئها انّك قد دخلتَ فى الصلوة و انت مقبل عليه بنيّتِك عند اوّل التكبير و الّا لم‌تصحّ اصلاً فان قلتَ قد اتوجّه الى النيّة المعتبرة عند الفقهآء غير ملتفت الى ما يقصده العارفونَ قلتُ ان فعلك لما امرك به يلزمك منه امتثال امره و لو

اجمالاً كما يلزمك منه القرب اليه بذلك العمل و لو اجْمالاً كل ذلك توجّه اليه من حيث امر الّا ان مقام العابدين تحت مقام الموحّدين و كلّها مقامات المعبود سبحانه فهذا القصد فى الحقيقة لا غفلةَ فيه ثم فى باقى الصلوة يستمرّ القصد حكماً و اختلف الفقهآء فى معناه فقال بعضهم هو الّايُحدثَ نيّة تنافى نية الصلوة و قال آخرون هو العزم و تجديده كلّما ذكرت و الخلاف مبنى على الخلاف فى ان الموجود الحادث الباقى هل يحتاج فى بقآئه الى المؤثر ام لا و الحق الاوّل فى المسئلة الكلامية فالاصح الثانى فى المسئلة الفقهية و وجه عدم مقبوليتها ان النية التى هى روح العمل كانت فى الابتدآء فعليّة فان اقبل على كل صلاته كانت بمنزلة توجّه الروح الى الجسد فى تدبيره فهو حى مشعر مدبِّرٌ لاموره كما هو حالة اليقظة و اذا كانت فى باقى الافعال حكميّة كانت بمنزلة روح النآئم فى جسده هى مجتمعة فى القلب فبِشُعاعِها السفلى الذى هو ورآءها و خلفها كانت متعلقة بالبدن و اما وجهها فهو متوجّه الى جابلسا و جابلقا و هورقليا فمن جهة انّها فى القلب كالنية الفعلية فى التكبير و شعاعها السفلى فى سآئر البدن حالة النّوم كالنية الحكمية قلنا ان الصلوة صحيحة مجزيةٌ كما ان الانسان حالة النوم يصدق عليه انه حىّ و من جهة غفلته عن النية فعلاً فى سآئر الصلوة و انما فى الباقى القصد الاول كالنآئم قلنا انّها لم‌يستقلّ بالمقبولية الموجبة للجنّة بل لا بد من انضمامها الى ما يكمّلها كما ان النآئم انّما نحكم له بالحيوة التى ينتفع بها بانضمامها الى حيوة اليقظة فافهم.

قال سلمه الله تعالى : و قد روى عن جعفر الصادق (ع) انه قال لقد تجلّى الله لعباده فى كلامه و لكن لايبصرون و روى انه كان يصلّى فى بعض الايام فخرّ مغشياً عليه فى اثنآء الصلوة فسئل بعدها عن سبب غشيته فقال مازلتُ أُرَدِّدُ هذه الآية حتى سمعتُها من قآئلها قال بعض العارفين ان لسان الصادق (ع) كان فى ذلك الوقت كشجرة الطور عند قول انى انا الله ، افيدوا ان هذا السماع من القآئل اى معنى له فلو قيل ايّاى اعبُدْ و اياى استعِنْ بقول ايّاك نعبد و ايّاك نستعين فالقول قول العابد لا قول المعبود و هذا الاستماع بهذا الاذن الجسمانى اى معنى له.

اقول الحديث مشهور و الادلة النقليّة و العقلية تؤيّده و معنى تجلّيه فى كلامه ظهوره بكلامه فى كلامه و معنى ذلك انّ الكلام لايقوم بدون ما يستند اليه و ذلك المستند اليه هو جهة التكلم من المتكلم على حد ما سبق فى المسئلة الاولى فراجع تفهم فمن اشعر بظهوره له فقَدَ نفسه لانه عرفها و هو قول على (ع) لكميل جذب الاحديّة لصفة التوحيد ، و من لم‌يشعر جهل نفسه فكان الصادق (ع) لمّا اشعر بالتجلّى فقد نفسه اذْ عرفها فخرّ مغشيّاً عليه حيث لايقدر على الاستقرار و كثيرا ما تكون هذه الحالة على جده (ص) و الاوصيآء (ع) لانه تجلّى له كما تجلّى لموسى (ع) الّا ان المتجلّى لموسى (ع) مثل سَمّ الابرة من نور الستر و جعفر (ع) تجلى له جَميع نور الستر و يجب معه ذلك و بيانه على ما ينبغى مما لاينبغى لانه من علمهم (ع) المكنون و امّا على مذاق غيرهم فهو سهل و ذلك لان الشىء

لايتقوم الّا بالوجود و الماهيّة فهو مجموعهما لا احدهما فالوجود بدون ماهية لايحسّ و الماهيّة بدون وجودٍ لا حيوة لها فليس احدهما شيئاً الّا بالايجاد وَ شرط قبول الايجاد انضمام احدهما الى الاخر فالوجود وجه فعل الله و الماهيّة نفسُ الوجود من حيث نفسه فاذا اشعر العبد بالتجلّى فانّما يشعر بوجوده و الوجود نور الله قال (ع) اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ، يعنى بوجوده و لايلتفت الى الماهيّة اصلاً فينفكّ تركيبه فى شعوره لا فى ظاهره لانه لم يتجلّ للجبل فيقع لانّ القيام بالتماسك و قد فُقِد فى غيبه و امّا مغشياً عليه فلانه ساجد تحت العرش بين يدى الله سبحانه قد استولى عليه نور الظهور كاستيلآء حرارة النار على الحديدة المحميّة فان النّار حقيقة هى الحرارة و اليبوسة و هى لاتحسّ و الحرارة التى ظهرت على الحديدة فانما هى من صفة النار و ظهورها فظهرت النار بفعلها على الحديدة كما ظهر المتكلّم بكلامه على قلب الامام (ع) و الظهور هو المرتبة الخامسة للذات فقول بعض العارفين انّ لِسانَ الصادِق (ع) كشجرة الطور مجازٌ او تمثيل للمجهول بالمعلوم و الّا فشجرة الطور هى ثانى رتبةٍ فى الظهور للسان الصادق (ع) و لو قال شجرة الطور كلسان الصادق (ع) لكان كالصادق فقوله (ع) حتى سمعتها من المتكلّم ، يراد به من المتكلّم ما اشرنا اليه فى المسئلة السابقة و فى هذه من ظهور المتكلّم فيما يستند الكلام اليه من صفة فعله التى هى فعله بكلامه سبحانه له عليه السلام و هذا السماع هو

فی الحقیقة قابلیّة الوجود التشریعی الذی هو روح التشریع الوجودی و هو ان تکون حقیقة الامام (ع) اُذناً واعیة للملك العلّام.

و قولك فلو قیل ایّایَ اعبُدْ الخ ، لایصحّ هذا الکلام الّا اذا کان المتکلّم یتکلّم بما یخصّه لا بالمخاطب فانّه حینئذ یجری الکلام فی حکایة المظهر فلایصحّ ان یعنی نفسه بالخطاب المحکی و اذا کان المتکلّم یتکلّم بالمخاطب للمخاطب کان المخاطب هو النصف الاسفل من وجود الخطاب فلایحسن ان یقال ایّای اعبُد فلایتوجّه الخطاب الی الحاکی الّا بقرینة فالقول قول المعبود بالعابد فافهم.

و امّا قولکم ایدکم الله تعالی : فهذا الاستماع بالاذن الجسمانی الخ ، فجوابه ان هذا الاستماع اعلی مراتبه فؤادُهُ و اذنه اذ ذاك الحقیقة الاولیّة التی هی فلك الولایة المطلقة و مقام اوْ ادنی و بعده اذنُ قلبه و هی قاب قوسین ثم اذنُ روحِه عند عروجه فی الحجاب الاصفر حجاب الذهب الی ذلك المقصود الاکبر ثم اذن نفسه و هکذا الی اذنِ جسمه ثم اذن جسده فکل مقام سمع فیه کلام المتکلم من المتکلم هو مظهره لانه ظهر فیه و قد تقدّم ان معنی ظهر فیه ظهر به فافهم و قد اختصرنا الجواب اعتماداً علی حسن الاستماع و الفهم اللمّاع و لضیق الوقت و استعجال الجواب و الحمد لله رب العالمین.

و فرغ من تسويدها العبد المسكين احمد بن زين‌الدين فى السابع‌عشر من شهر ربيع الثانى سنة ١٢٢٤ و الحمد لله وحده . تمت.